ب ــ الا اننا نلمس مثل هذه الضرورة في حكايات أخرى بطريقة مختلفة لا تعتمد على الحدث بقدر ما تعتمد على عبارات الراوي وأمنياته ، في حكايـــة الاخت الغولة يبدأ الراوي الحكاية على النحو التالي : « صلوا على النبي ، اللهم صل على سيدنا محمد ، الله ينصر دين محمد على القوم الكافرين ويعاودنا على بلادنا سالمين وغانمين » .

وفي حكايات اخرى كثيرة يصعب حصرها تتكرر عبارة « البلاد طلبت أهلها » على لسان ابطال الحكايات ، فبعد ان يضرب هؤلاء في مغامرات الغربة ويحققون أهدافهم يقولون لمضيفيهم «البلاد طلبت أهلها» كناية عن الرغبة في العودة الى مسقط رؤوسهم ففي حكاية طير السعادة مثلا يقول البطل لصهره بعد زواجه من ابنته ( البلاد طلبت أهلها ) ويعود لفلسطين رغم حسن الضيافة والاغراءات الكثيرة التي قدمت له ، وفي حكاية « الاخت الغولة » نجد البطل يكرر باستمرار واثناء تجواله في بلاد الغربة عبارة « عاداتنا في بلادنا » كدلالة لفظية لاستمرارية انتماء البطل حتى في المسلك اليومي الى التربة والثقافة اللتين تلقاهما في وطنه الاصلي .

وتستحوذ الاشجار والنباتات على جانب كبير من جوانب الحكايات الشعبية بشكل عام الى حد ذهب معه دارسو الفولكلور الى أفراد قسم خاص من الحكايات تحت بند « حكايات النبات » على غرار حكايات الحيوان ، ولا يهمني وانا أتناول هذا الجانب من الحكايات الشعبية الفلسطينية البحث في الجذور الطوطمية او الخرافية لما يرد ذكره من نباتات أو أشجار في هذه الحكايات الا أن ثمة ملاحظة لا بد من ايرادها في هـــذا الصدد ، فقد لفت انتباهي وأنا أقوم بعملية احصاء لاسماء وأنواع النباتات والاشجار في الحكايات الشعبية الفلسطينية ان ثمة نوعين من الاشجار أو الثمار ، نوع خرافي ونوع آخر حقيقي وواقعي، كما تبين لي أن انتماء الثمار والنباتات والاشجار بمدلولاتها الواقعية يكون عادة للارض الفلسطينية بينما يكون انتماء الثمار او الاشجار الخرافية لبلدان اخرى ذات سمة خرافية كواق الواق مثلا ففي حكاية « بنت الطرنج »(١٤) نرى البطل يخرج من فلسطين بحثا عن ثمرة خرافية هي ثمرة الطرنج التي تنتجها شجرة خرافية تحمل نفس الاسم وتثمر كل الف سنة حبتين ، وتوجد هـــذه الشجرة في بلاد بعيدة وراء جبل قاف وأهلها خلق غريب من الجن والعفاريت ( هكذا ) . أمـــا الثمار والخضروات بمعناها الواقعي فنجدها تنتمي في هذه الحكايات الى الارض الفلسطينية ومن أمثلة هذه الثمار والخضروات ، القرنبيط في حكاية ملك الهوا ، والبندورة في حكاية كيد النساء ، والبطيخ في حكاية البطيخ في غير أوانه ، والملوخية والسبانخ في حكاية الفلاح والمدني والبدوي ، والتين في حكاية اختين ، والقمح والزيتون والتفاح والبرتقال في حكاية « طايع أمة » .

وعادة ما توظف الحكايات الخرافية وخاصة ما يتعلق منها بالحيوان والنبات في تفسير الظواهر الفيزيائية المختلفة تفسيرا ميتافيزقيا او خرافيا ولا يتسع المجال هنا لسرد الكثير من الامثلة لايضاح هذه الناحية ، خاصة وانها قضية عامة تنسحب على مختلف الحكايات الخرافية لمختلف الشعوب(١٥) .

الا أن ظاهرة فريدة استرعت انتباهي في أربع حكايات خرافية فلسطينية وتتلخص هذه الظاهرة في توظيف الخرافة لخدمة الالتحام الحميم بالارض قبل الموت وبعده ، وفي التأكيد على اصالة وجدوى الارتباط بالعمل الزراعي الذي هو بحد ذاته رمز للعلاقة المعاشية الجدلية بين الارض والانسان . وهذه الحكايات الاربع هي : حكاية الطائر الاخضر ، بقرة اليتامى ، حكاية اختين ، قاطع يد ابيه . وتقدم الحكاية الاولى منها معنى شبيها بأسطورة الفينيق ولكن بطريقة يستبدل فيها المعتقد الخرافي القائم على